ةوعدلا حاجن يف امهرودو ةثعبلا لبق)مل سو هيلع الله ىلص(يبنلل يهلإلا دادعإلاو ةيعارلا ةيملاسلإا

NÜBÜVVET ÖNCESİ İLAHİ GÖZETİM, PEYGAMBERLİĞE HAZIRLIK VE İSLAMİ DAVETTEKİ ETKİSİ

Dr. YAHYA MAABDEH (يحيى معابده)
Ağrı İbrahim Çeçen Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
Arap Dili Belagatı ABD
dryzaam@gmail.com

Atıf Gösterme: MAABDEH, Y. (2017). الرعاية والإعداد الإلهي للنبي قبل البعثة ودورهما في نجاح الدعوة الإسلامية. *Ağrı İslâmi İlimler Dergisi (AGİİD),* 1(1), 97-113.

Geliş Tarihi:

11 Aralık 2017

Kabul Tarihi:

25 Aralık 2017

© 2017 AGİİD.

Tüm Hakları Saklıdır.

Özet: Nübüvetten önce ilâhî gözetimin, Peygamber'in (s.a.v.) kişiliğinin oluşmasında, peygamberliğinin ve tebliğinin ön hazırlığında önemli bir rolü vardı. Bu gözetim, kişiliğinin çehresini belirledi. Böylece doğumundan başlayıp 40 yaşına gelinceye kadar süren bu ön hazırlık onun olgun, girişken, etkileyici, kendine gücü yeten, fikir sahibi, aydın, üretken, sorunlara çözüm getirebilen bir kişiliğe sahip olmasını sağladı. Araştırma, eğitim bilimlerindeki ifade vasıtasıyla peygamberlikteki ilâhî gözetimi ve bu gözetimin davetteki ve zorlukların üstesinden gelebilmesindeki başarısına nasıl katkı sağladığını konu ediniyor.

Anahtar Kelimeler: *Nebi, Muhammed (s.a.v.), Gözetim, Siyer, Kişilik, İslâm, YAHYA MAABDEH.*

Abstract: The Godly care for the prophet before being entrusted to him by prophecy important role in building his character, And habilitation of him to get the message communicated to the people, The care developed his character landmarks, Was: a positive interactive influential enlightened, able to creativity and problem-solving, The Godly care began since birth until he completed age of forty. The researcher using educational sciences, to study the role of Godly care for the Prophet, and how it contributed to the success of the Islamic Dawa and overcome obstacles

Keywords: *Prophet Muhammad, care, biography, Personal, Islamic, YAHYA MAABDEH.*

الملخص: كان للرعاية الإلهية للنبي (ص) قبل البعثة دور هام في بناء شخصيته وتأهيله لحمل الرسالة وتبليغها، وحددت هذه الرعاية معالم شخصيته ابتداء هذه الرعاية من ولادته وحتى اكتمل هذا الإعداد عند بلوغ سن الأربعين، فكانت شخصيته سوية متفاعلة مؤثرة مقدرة لذاتها ذات تفكير مستنير، قادرة على الإبداع وحل المشكلات، ومن خلال الإفادة من العلوم التربوية يدرس البحث دور الرعاية الإلهية للنبي، وكيف ساهمت في نجاح الدعوة وتجاوز العقبات.

الكلمات المفتاحية: النبي، محمد (ص)، الرعاية، السيرة، الشخصية، الإسلامية، يحيى معابده.

مدخل

اصطفى الله عز وجل الأنبياء لتبليغ رسالته إلى البشرية لتحقق لهم الهداية الشمولية وبيان الغاية من خلقهم وتذكرهم بواجب تحقيق الخلافة في الأرض عبادة وعمارة، وجعل هذا الاصطفاء منوطا بقدرتهم على تحمل أعباء الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته، فكان لا بد من أن يتمتعوا بصفات تؤهلهم لحمل هذه المهمة، ومن هنا كانت الرعاية والاصطفاء.

وقد بين الله عزوجل أنه لا يرسل إلا من تأهل لهذه المهمة الجليلة، قال تعالى: { وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (الأنعام: 6/124)، وجاءت هذه الآية في معرض الرد على من اشترط لإيمانه بنبوة محمد (ص) أن يؤتى مثل ما أوتي الرسل من الوحي والمعجزات، فجاء الجواب بأنهم غير مؤهلين لتلقي الوحي إذ إن الرسالة مهمة عظيمة لا يستطيع أن يقوم بمهامها إلا من هو مؤهل لها، يقول الطبري:"فأنا أعلم بمواضع رسالاتي، ومن هو لها أهل"(الطبري، 2001: ج12، 96).

وإذا كان في حياة النبي (ص) أسوة حسنة للمؤمنين فإن حياته قبل البعثة جزء لا يتجزأ من هذه القدوة، وتحتل مكانة هامة في السيرة النبوية إذا أخذ بعين الاعتبار أن هذه المرحلة مرحلة إعداد وتأهيل، ويمكن تجلية جوانب الرعاية له بالعلوم النفسية والتربوية.

ولا بد من الإشارة إلى أن كتب السيرة القديمة والحديثة تناولت الموضوع كمفردات متفرقة في سياق سرد أحداث السيرة وليس كعنوان، ولم تربط هذه المفردات بالعلوم التربوية والنفسية إلا عرضا.

وتكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما هو مفهوم الرعاية الإلهية؟

ما هي أوجه الرعاية الإلهية للنبي (ص) قبل البعثة؟

ما دور الرعاية الإلهية في بناء شخصية النبي (ص) ؟

وما دور الرعاية الإلهية للنبي (ص) في نجاح الدعوة الإسلامية؟

خطة البحث

التمهيد: مفهوم الرعاية الإلهية للنبي عليه السلام ودلالة القرآن عليها.

المبحث الأول: وجوه الرعاية الإلهية للنبي (ص) ودورها في بناء شخصيته.

المبحث الثالث: الرعاية ودورها في نجاح الدعوة الإسلامية.

التمهيد

مفهوم الرعاية الإلهية للنبي عليه السلام ودلالة القرآن الكريم عليها

أولا: الرعاية مصدر مشتق من رعى، وقد ورد في القرآن الكريم {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} (الحديد:57/27)، أي ما حافظوا عليها، يقال: رعاه يرعاه رعيا ورعاية، ويقال: اسْتَرْعاهُ إِيَّاهُمْ: اسْتَحْفَظَهُ (الفيروز أبادى، 2005: 1289)' ورعى النجوم رعيا وراعاها راقبها (ابن سيده، 2000:ج2، 238)، والراعي: "من يحفظ الماشية ويرعاها، وكل من ولي من قوم أمرا فهو راعِيهم" (الفراهيدي، د.ت: ج2، 240) وراعَيتُه: "اذا لاحَظْتُه مُحْسِناً إِلَيْهِ"(الزبيدي، د .ت: ج 38، 164)، وفيه معنى الترقب (ابن منظور، 1414) وهو انتظار ما يكون منه.

والرعاية لفظة غنية في معانيها ويمكن الكشف عن غناها من خلال المرادفات لها، فهي أعم من الحفظ مع ملاحظة الفرق بينهما، فالحفظ يقتصر على دفع الضرر بينما الرعاية فيها مزيد عناية لأنها تتعدى إلى بذل الأسباب لحفظ هذا الشيء "ذلك أن نقيض الحفظ الإضاعة ونقيض الرعاية الإهمال ومنه راعي المواشي لتفقده أمورها ونفي الأسباب التي يخشى عليها الضياع" (العسكري،1934: ج192،1)' وكذلك هي أعم من الكلاءة إذ الكلاءة هي إمالة الشيء إلى جانب يسلم فيه من الآفة (العسكري،1934: ج1، 226)، فهو لا يتضمن معنى العناية.

وعلى هذا فالرعاية متضمنة لمعاني الحفظ والكلاءة ويمكن تعريفها بأنها: التنشئة الإلهية لحضرة للنبي وتهيئة الظروف المناسبة حتى يؤهله لحمل الرسالة، ودلالة التعريف يمكن استنباطه من الآيات الكريمة ونصوص السنة النبوية في المطلب التالي.

ثانيا: دلالة القرآن الكريم والسنة النبوية على وجوه الرعاية الإلهية للنبي عليه السلام

أولا: قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } (الطور: 52/48)، ووجه الدلالة أن العين في استخدام العربية تطلق على مزيد العناية "أي بمرأى ومنظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل، وقيل : بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك، ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (طه:20/39)، "أي بحفظي وحراستي" (القرطبي، د.ت : ج17، 78)، وقال الطبري: "وَلِتُغَذَّى وَتُرَبَّى عَلَى مَحَبَّتِي وَإِرَادَتِي" (الطبري، 200، ج16، 59)، فهو بهذا التفسير يشمل البناء الجسدي والتربية، ويقول الزمخشري: "بحيث نراك ونكلؤك" (الزمخشري،1407: ج4، 415)، ففيه معنى الحماية.

والأشمل في بيان معنى الآية في هذا السياق ما قاله الرازي: "أي تُرَى عَلَى عِلْمٍ مِنِّي وَلَمَّا كَانَ الْعَالِمُ بِالشَّيْءِ يَحْرُسُهُ عَنِ الْآفَاتِ، كَمَا أَنَّ النَّاظِرَ إِلَيْهِ يَحْرُسُهُ عَنِ الْآفَاتِ أُطْلِقَ لَفْظُ الْعَيْنِ عَلَى الْعِلْمِ لِاشْتِبَاهِهِمَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، الثَّانِي: الْمُرَادُ مِنَ الْعَيْنِ الْحِرَاسَةُ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّاظِرَ إِلَى الشَّيْءِ يَحْرُسُهُ عَمَّا يُؤْذِيهِ فَالْعَيْنُ، وَيُقَالُ: عَيْنُ اللَّهِ عَلَيْكَ إِذَا دَعَا لَكَ بِالْحِفْظِ وَالْحِيَاطَةِ (الرازي،1420، ج 22، 48 - 49).

ثانيا: قال تعالى: {وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} (الضحى:1-93/3)، فأقسم الله عز وجل بالضحى والليل إذا سجى ليؤكد للنبي وللمؤمنين بصيغة الماضي على وجه القطع أنه لم تنقطع عنه رعايته وهذا يشمل حاله قبل البعثة، قال سيد قطب: "وما تركك ربك من قبل أبداً، وما قلاك من قبل قط، وما أخلاك من رحمته ورعايته وإيوائه" (سيد قطب، د. ت :ج8، 55).

ثالثا: أن الله عز وجل ذكّر نبيه بما حباه به من رعاية قبل بعثته مذ كان صغيرا، قال تعالى:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى } (الضحى: 6 – 93/8)، والمعنى أن من رعاك صغيرا لن يتركك بعدما أوكل إليك المهمة الجليلة بتبليغ دينه، قال الزمخشري: "عدّد عليه نعمه وأياديه، وأنه لم يخله منها من أوّل تربيه وابتداء نشئه، ترشيحاً لما أراد به؛ ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه، لئلا يتوقع إلاّ الحسنى وزيادة الخير والكرامة" (الزمخشري،1407:ج772،4).

رابعا: بين النبي عليه الصلاة والسلام الرعاية الإلهية له قبل الهجرة بحفظه من دنس الجاهلية ومحاكاة صنيع الشباب فعرّفنا بذلك فقال: "ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلاهما يعصمني

الله تعالى منهما ثم ذكر القصة وقال: "ما هممت بعدها أبدا بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالى بنبوته"(الحاكم، 1411) .

المبحث الأول

وجوه الرعاية الإلهية للنبي (ص) **ودورها في بناء شخصيته**

لقد حبا الله عز وجل نبيه بالرعاية الشاملة منذ اللحظة الأولى لولادته وهيأ له من الأمور ما يؤهل شخصيته لتحمل أعباء الدعوة الخاتمة للرسالات الموجه للعالمين المستمرة إلى قيام الساعة، فلم تكن نشأته يتيما، مرورا بديار حليمة السعدية وحادثة شق الصدر، وحفظه من دنس الجاهلية واشتغاله برعاية الغنم والتجارة وما حبب إليه من الخلوة وغيرها إلا منهجا متكاملا في بناء شخصية النبي الخاتم للرسالات المؤهل في كل الجوانب لتحمل الأعباء والصبر على الأذى والجد والمثابرة دون كلل أو ملل لإقامة هذا الدين وتحمل العقبات والقدرة على إحداث التغيير ليكون الدين حاضرا مكتملا أمام البشرية حجة على البشرية حتى قيام الساعة.

النبوة ليست أمرا ذاتيا فإذا ما تحقق في النفس البشرية صفات محددة استحق أن يكون أصحابها رسلا، بل هي اصطفاء من الله قال تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ} (القصص: 28/86)، بل إن الاصطفاء سابق للهداية اللاحقة والسابقة بالأسباب فهو الهادي، قال تعالى: { وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (الأنعام: 86، 6/87)، وكذلك نبوة خاتم (ص)، والاصطفاء تصاحبه الرعاية الإلهية والإعداد للرسالة، وتشمل تهيئة الظروف المناسبة لنشأته، والإرهاصات التي تدل على صحة نبوته وتهيئة الناس لأمر الدعوة.

لقد تدرجت الرعاية الإلهية للنبي في الكمالات البشرية حتى أصبح مؤهلا لتلقي الوحي مع بلوغه سن الأربعين، فهو يصدع بالدعوة فيعلو جبل الصفا واثقا من نفسه متحملا للصعاب، ولم يكن ليتحملها لولا أن الرعاية الإلهية قد آتت أكلها في شخصيته، فاصبح مؤثرا في واقعة، وشق للدعوة طريق النجاح رغم كل الصعوبات والمعيقات، ليصبح الإسلام قوة ودولة في العالم آنذاك في فترة زمنية قياسية.

لقد تعددت وجوه الرعاية الإلهية لحضرة النبي في كل جوانب حياته ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

أولا: اجتماع الفضائل في الشخصية النبوية

من الفضائل التي جمعها الله عز وجل لنبيه وتمثل إحدى وجوه الرعاية الربانية:

1. النسب الشريف

فقد اصطفاه الله عز وجل من خير الأنساب التي عرفها العرب، يحدث النبي عليه السلام عن ذلك فيقول: "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ" (مسلم: د.ت).

فحضرة النبي يخبر أن من رعاية الله له أن جعل نسبه من اشرف انساب العرب وهذا له حكم متعددة منها "إفادة الكفاءة والقيام بشكر النعم ونهيه عن التفاخر بالآباء" (الكيا هراسى، 1405: ج2، 456)، مع أن الاصطفاء لقريش "ليس باعتبار الديانة بل باعتبار الخصال الحميدة فيهم(المناوي، 1415).

وهذا لا يتعارض مع قول النبي عليه السلام: "قال لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أنا خَيْرٌ من يُونُسَ بن مَتَّى"(البخاري، 1407)، ويمكن أن يجاب عن ذلك "أنه أراد بذكره التحدث بنعم الله تعالى, أن يبلغ أمته من منزلته عند الله, ما يجب على أمته أن يعرفوه, وليعطوه من التعظيم حقه طاعة لله تعالى" (الكيا هراسى، 1405: ج2، 456).

2. حُسن خُلق النبي عليه السلام

لقد حاز النبي (ص) مكارم الأخلاق فكانت فيه سجية مكينة، وقد وصفه الله عزوجل فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم: 68/4)، إن النبي عليه السلام تمتع بهذه الصفات النبيلة والجليلة قبل البعثة وهذا ظاهر من كلام السيدة خديجة: "إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الحديث وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الْحَقِّ" (البخاري، 1407).

إن أخلاق النبي لم تكن موضع اختلاف عند قريش لا قبل البعثة ولا بعدها إذ عرف النبي (ص) قبل بعثته بالصادق الأمين، ولما سأل ملك الحبشة أبا سفيان عن خلق النبي (ص): "فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: لاَ"(البخاري: 1407)، وهذا يعني: أن إجماع قريش على حسن خلق النبي وحكمته ظهر جليا وخرج مخرج الإجماع فقبلت به حكما في حادثة بناء الكعبة.

3. جمال المظهر

عُرف النبي (ص) بجمال مظهره فقد جمع في شخصه الكريم عناصر الجمال، فيروي عن الْبَرَاءَ رضي الله عنه يقول: "كان رسول اللَّهِ (ص) أَحْسَنَ الناس وَجْهًا وأحسنهم خَلْقًا (البخاري: 1407)، وسئل " أَكَانَ وَجْهُ النبي (ص) مِثْلَ السَّيْفِ قال لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَر" (البخاري، 1407)، وعن كَعْب بن مَالِكٍ "وكان رسول اللَّهِ (ص) إذا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حتى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ" (البخاري، 1407).

دور اجتماع الفضائل في بناء شخصية الرسول (ص) والوصول إلى شخصية قوية مستقرة متكاملة

إن النجاح في الحياة منوط بتحقيق الشخصية وتقدير الذات لتصبح قادرة على التأثير وتحمل المسؤوليات، وهذا ضروري في بناء شخصية النبي الخاتم للرسالات المبعوث للناس كافة، ويمكن أن يُلحظ هذا المعنى في تذكير الله عز وجل لنبيه بوجوه رعايته له محفزا له على تحمل أعباء الدعوة، بل كان النبي(ص) يذكر وجوها منها من خلال ذكره لنسبه الشريف وغيرها من صور الرعاية الإلهية له، والنبي (ص) لم يرد بذكره لنسبه الافتخار بل هو يعبر عن تقديره لذاته والذي هو في دلالة علم النفس هو حكم الفرد على مدى كفاءته الشخصية (الضيدان، 1424: 8) فهو يرى ويعرف انه أهل لحمل الدعوة.

إن تقدير الذات مهم في الوصول إلى شخصية مستقرة ومهتدية وقوية وهو جزء مهم لحيوية الفرد في محيطه الاجتماعي وقدرته على التأثير، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية إن تقدير الذات: "علامة على الصحة النفسية، المتسمة بالفعالية والرضا والإحساس بالتفاؤل واحترام المجتمع والقادرة على مواجهة الحياة وعدم القبول بالظلم والسعي إلى الإصلاح بدلا من النقد الهدام"(عيسى، 1994، 1096).

إن تقدير الذات يأتي في سلم المتطلبات التي تحقق الدافعية في الشخصية وصناعة التأثير(عيسى، 1994)، فكان له أثر كبير في تكوين شخصية النبي (ص) وهو أساس ثقة النفس التي كان يتمتع بها، ولها أثر واضح في الثبات والصبر والشجاعة، ونجاح دعوته بالقدرة على التأثير، ويمكن التمثيل على ذلك في سيرة النبي (ص) عند لحظة الجهر بالدعوة الإسلامية فجعل النبي (ص) يدعوهم قبائل قبائل وهو يصعد على جبل الصفا بكل ثقة وشجاعة(البخاري، 1407).

ثانيا: ولادة النبي (ص) يتيما

ذكر الله عز وجل نبيه برعايته له يتيما وذلك في قوله تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} (الضحى: 93/6)، فقد ولد النبي (ص) يتيم الأب إذ توفي والده عبد الله وأمه حامل به، وتضاعف يتم النبي (ص) بموت أمه وهو ابن ست سنين فأصبح يتيم الأبوين، ثم ليرعاه جده عبد المطلب ثم يتوفى وهو ابن ثمان سنين ثم ليدخل في كنف عمه أبو طالب، فقد آواه الله عز وجل لتتحقق معجزة التربية مع فقدان الوالدين لأن ذلك دلالة على رعاية إلهيه له ودلالة على صدق نبوته.

وهنا يرى الباحث ضرورة التنبيه على خطا من يربط اليتم بالفقر، والباحث هنا يرى أن عائلة النبي عائلة من سادات المجتمع وكانت تحظى بالرئاسة الدينية ودورا رياديا في المجتمع، فيمكن أن نقول أنها من الطبقات

القيادية في مجتمع مكة، ونالت هذا الشرف بالذكاء والحنكة والصدق، ومن هنا فهذه العائلات يحظى أبنائها برعاية منهجية لا تعتمد بالأصل على وجود الأب فحسب، فالنبي وإن كان يتيما إلا أن اليتم جعل له شخصية جامعة وذلك بتخالطه مع أعمامه الذين كانوا له بمثابة الأب والمربي.

دور اليتم في بناء شخصية النبي صلى الله عليه وسلم

اليتم في ذاته محنة لكن الله أراد أن تتحقق في شخصية النبي منحة تضيف عاملا من عوامل تشكيل شخصية النبي (ص) ولا يمكن أن تتحقق إلا إن كان يتيما، لأن اليتيم وإن توفرت له أسباب الرعاية يبقى يتيما، إذ يعرف في ضوء العلاقات الاجتماعية أن اليتيم في صغره له ما يميزه عن غيره من الناس من فقد لوالديه أو أحدهما ويجد ذلك في نفسه.

إن أثر ذلك واضح في شخصية النبي من رقة ولين وعطف على اليتيم وإعانة للفقير والمسكين من الناس حتى قبل بعثته لقد وصفت خديجة النبي عليه السلام بأوصاف، فقالت: "إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الْحَقِّ"، حتى تأهلت هذه الشخصية لحمل الرسالة قال تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة: 9/128).

لقد عرف المفكرون حتى المستشرقين منهم أثر يتم النبي صلى الله عليه وسلم في تشكيل شخصيته، يقول جيمس متشنر (james michener): "إن محمداً هذا الرجل الملهم، الذي أقام الإسلام، ولد يتيماً محباً للفقراء والمحتاجين والأرامل واليتامى والأرقاء والمستضعفين...، ورفع عن المرأة قيد العبودية التي فرضتها تقاليد الصحراء، ونادى بالعدالة الاجتماعية وقد عرض عليه في آخر أيامه أن يكون حاكماً بأمره، أو قديساً، ولكنه أصر على أنه ليس إلا عبداً من عباد الله أرسله إلى العالم منذراً وبشيراً" (الظالمي، د.ت: 50).

ويتضح من ذلك أن يُتم النبي (ص) جزء لا يتجزأ من الرعاية الإلهية له قبل البعثة، فليس من باب الصدفة أن يولد يتيما وإنما أراد أن يكون ذلك جزء من تشكيل شخصيته ليكون مؤهلا لحمل النبوة من جهة ومؤهلا لقيادة الأمة ورعاية الإنسانية فيعطف على الفقير ويتفقد الأيتام ويتلمس حاجات الرعية ويساهم في تحقيق السلم العالمي والمجتمعي، يقول مونتجمري وات (Montgomery Watt): "يمكن أن نستنتج من هذه الآيات: أن إحدى مراحل تفتحه كانت إدراكه أن يد الله قد أخذت بيده بالرغم من مصائب الدهر وسنعرف بعض الإشارات إلى هذه السنوات الغامضة بعد" (مونتجمري وات، د. ت: 75)

وفي هذا السياق لا بد من التأكيد على أن الابتلاءات التي يعيشها الإنسان في هذه الدنيا ما هي إلا اختبارات قال تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} (الأنبياء: 21/35)، ونجاح الإنسان في الاختبار يعني حصوله على خبرات جديدة سيستفيد منها فتتحول المحنة إلى منحة بما تتضمن من ملكات تصقل الشخصية وتقويها.

ويمكن القول هنا: إن ادراك الإنسان لضرورات البقاء في الحياة دون الاعتماد المباشر على غيره سبب مهم في صقل الشخصية الإنسانية وصيانتها فلن تصفو الحياة من كدر فعليه أن يصبر في الضراء وأن يشكر في السراء، لأن الإنسان إن ضجر فقد يجنح إلى ترك ما يصبو إليه من نبل، و إن من أسباب وقاية الشخصية من الانحراف "أن يستذكر الإنسان أنه في هذه الدنيا مبتلى" (النجار، 1416، ص 81.).

ثالثا: إخراج حظ الشيطان من قلب النبي عليه الصلاة والسلام

إن التحذير الإلهي للنبي (ص) من الشيطان قد ابتدأ في مرحلة الوعي الأولى للحياة بأن لا يكون للشيطان حظ في حياة النبي، وقد وقعت حادثة شق الصدر للنبي (ص) وهو صغير ما زال في ديار حليمة السعدية، روى مسلم بإسناده :"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) أَتَاهُ جِبْرِيلُ وهو يَلْعَبُ مع الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عن قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ منه عَلَقَةً فقال هذا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ في طَسْتٍ من ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ في مَكَانِهِ وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إلى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قد قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وهو مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ قال أَنَسٌ وقد كنت أرى أَثَرَ ذلك الْمِخْيَطِ في صَدْرِه" (مسلم: د.ت).

دور حادثة شق الصدر في بناء شخصية النبوية

حادثة شق الصدر جزء من الرعاية الإلهية للنبي (ص) وإعداده للرسالة، وفي النظرية الإسلامية للشخصية الإسلامية ثمة عوامل تساهم في الوقاية من الانحراف (النجار، 1416: ص 83)، ومن هنا لا بد من التأكيد على أن الشيطان عدو للإنسان يعمل على إفساده، فالنبي (ص) تجنب الوقوع في الشر وتفتح على مفهوم الخير والشر في مراحل وعيه الأولى حتى اصبح الخير أصيلا وقرينا له في حياته .

إن التحذير الإلهي للنبي (ص) جاء في سن مبكرة بأسلوب متوازن حتى يكون لذلك آثار نفسية إيجابية، لقد أجاد الغزالي في بيان دور هذه الحادثة في بناء شخصية النبي فقال: "وشيء واحد هو الذي نستطيع استنتاجه من هذه الآثار، أن بشراً ممتازاً كمحمد لا تدعه العناية غرضاً للوساوس الصغيرة التي تناوش غيره من سائر الناس، فقلوب النبيين -بتولي الله لها- لا تستقبل هذه التيارات الخبيثة ولا تهتز لها، وبذلك يكون جهد المرسلين في "متابعة الترقي" لا في "مقاومة التدلي" وفي تطهير العامة من المنكر لا في التطهر منه، فقد عافاهم الله من لوثاته ولعل أحاديث شق الصدر تشير إلى هذه الحصانات التي أضفاها الله على محمد (ص)" (الغزالي، 1998: 62).

رابعا: حفظ النبي (ص) وصيانته عن نقائص الجاهلية

ومن مظاهر الرعاية الإلهية للنبي قبل البعثة حفظ النبي (ص) وصيانته عن نقائص الجاهلية، فقد كانت العرب على بقايا الحنيفية السمحة ولكن ادخلوا فيها أمورا حرفتهم عنها، حتى اضمحلت كثير من صور الحنيفية السمحة وحلت مكانها صور الانحراف، ومع أن النقاد اختلفوا في كون النبي (ص) معصوما قبل البعثة إلا أن هذه الرعاية الإلهية قد أخذت بالفعل صورة العصمة، وقد وقع في سيرة النبي (ص) ما يدل على هذا النوع من الرعاية الإلهية، منها:

1. أن النبي (ص) لم يأت من أمور الجاهلية بشيء، كعبادة الأصنام والأكل مما ذبح لغير الله والحلف بغير الله

يروي زيد بن حارثة رضي الله عنه في سيرة النبي (ص) قبل البعثة فيقول: خرج رسول الله (ص) وهو مردفي إلى نصب من الأنصاب فذبحنا له شاة ووضعناها في التنور حتى إذا نضجت استخرجناها فجعلناها في سفرتنا ثم أقبل (ص) يسير.... فأناخ رسول الله (ص) البعير الذي كان تحته ثم قدمنا إليه السفرة التي كان فيها الشواء فقال ما هذه فقلنا هذه شاة ذبحناها لنصب كذا وكذا فقال إني لا آكل ما ذبح لغير الله، وكان صنما من نحاس يقال له أساف ونائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا فطاف رسول الله (ص) وطفت معه فلما مررت مسحت به فقال رسول الله (ص) لا تمسه قال زيد فطفنا فقلت في نفسي لأمسنه حتى أنظر ما يقول فمسحته فقال رسول الله (ص) ألم تنه قال زيد والذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلمت صنما حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب (الحاكم،1411).

2. صيانته عما كان عليه الناس في الجاهلية من التعري والتبذل في اللباس

كان من أمر الجاهلية كشف العورة بل مما كان من أمر الجاهلية أن يحج الناس وهم عراة حتى جاء الإسلام وعلا شأنه وفتحت مكة فأمر النبي (ص) بمنع ذلك (البخاري، 1407)، وقد حفظ الله عز وجل نبيه قبل البعثة من ذلك، ومن ذلك ما وقع في قصة اشتراك النبي (ص) في بناء الكعبة قبل بعثته وفيه: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) كان يَنْقُلُ مَعَهُمْ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إزَارُهُ فقال له الْعَبَّاسُ عَمُّهُ يا بن أَخِي لو حَلَلْتَ إزَارَكَ فَجَعَلْتَ على مَنْكِبَيْكَ دُونَ الْحِجَارَةِ قال فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ على مَنْكِبَيْهِ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عليه فما رؤي بَعْدَ ذلك عُرْيَانًا " (البخاري، 1407).

3. حفظ النبي (ص) من محاكاة صنيع الشباب مما يخالف الفطرة

اشتهر في قريش ما يمكن أن يسمى بحفلات السمر وهو في ذاته ليس محرما، ولكن في الجاهلية كان يصاحبه اللهو المحرم مما يخالف الفطرة السوية، وهذا لا يليق بمقام الإعداد للنبوة وتلقي الوحي، فمنع من ذلك النبي (ص).

لقد بين النبي (ص) هذا الوجه من الرعاية الإلهية له قبل البعثة وهو يحدث عن نفسه فيقول: "ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلاهما يعصمني الله تعالى منهما قلت ليلة لفتى كان معي من قريش في أعلى مكة في أغنام لأهلها ترعى أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان قال نعم فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمر فقلت ما هذا قالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة فلهوت بذلك الغناء والصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت فسمعت مثل ذلك فقيل لي مثل ما قيل لي فلهوت بما سمعت وغلبتني عيني فما أيقظني إلا مس الشمس ثم رجعت إلى صاحبي فقال ما فعلت فقلت ما فعلت شيئا قال رسول الله (ص) فو الله ما هممت بعدها أبدا بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالى بنبوته (الحاكم،1411)، وهذا الموقف يدل على أن شخصية النبي (ص) قبل البعثة ليست انطوائية إذ كان متفاعلا مع الناس يشاركهم المناسبات.

أهمية حفظ النبي (ص) **قبل البعثة من نقائص الجاهلية ودوره في بناء شخصية النبي**

إن حفظ النبي (ص) من نقائص الجاهلية يعني تهيئة البيئة المناسبة لتنشئته ليصبح مؤهلا لحمل الرسالة، والبيئة السليمة من الانحراف من أهم العوامل المهمة في بناء الشخصية الإنسانية في بيئة مصونة عن العوامل السلبية.

لقد أشار كتاب السيرة إلى دور هذه الرعاية الإلهية في تنشئة النبي (ص) قال ابن إسحاق: "فشب رسول الله (ص) يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعايبها لما يريد به من كرامته ورسالته وهو على دين قومه، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جوارا وأعظمهم خلقا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة وكان رسول الله (ص) فيما ذكر لي يحدث عما كان يحفظه الله عز وجل به في صغره وأمر جاهليته" (ابن هشام، 1411: 323).

إن تهيئة البيئة للنبي (ص) ضرورة مهمة في بناء شخصيته ووقايته من أسباب الانحراف والضعف، إن الشر لن ينتهي ولكن ثمة صراع بين الحق والباطل ولن تصمد الشخصية الإنسانية أمام الباطل إلا بتوفير بيئة آمنة، إن وجود بيئة تتوغل فيها السلبيات تعني احتمال تعثر بناء الشخصية، وهذا لا يعني بأي حال الانعزال إنما وجود البيئة الطبيعية لبناء الشخصية المؤهلة التي ستنطلق بثبات بعد تحصينها وتسليحها لتكون قادرة على نشر الفضيلة والتصدي لدواعي الشر لتثبت جدارتها في إقامة الفضيلة في الحياة وهذا ما قام به النبي (ص).

خامسا: إرهاصات النبوة

الإرهاصات هي خوارق ودلائل حدثت قبل بعثة النبي (ص) عرف الناس بها أنه سيكون نبي آخر الزمان، مثل بشارة أهل الكتاب، وختم النبوة والعلامات التي رافقت مولده الشريف وحادثة شق الصدر وغيرها، وقصة بحيرى الراهب.

ومنها تسليم الشجر والحجر على النبي (ص) قبل البعثة، يحدثنا النبي (ص) عن سيرته قبل البعثة فيقول: "إني لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ قبل أَنْ أُبْعَثَ إني لَأَعْرِفُهُ الْآنَ" (مسلم، د. ت).

دور إرهاصات النبوة في بناء شخصية النبي (ص)

والذي هو قيد البحث هنا ما يتعلق بدور هذه الإرهاصات ببناء شخصية النبي (ص) إذ إن دلائل النبوية تشكل للناس إرهاصات بأن هذا الإنسان سيكون نبيا خاتما للرسالات، والدور الأهم هو ما تؤديه هذه الإرهاصات بالنسبة للنبي نفسه في مجال بناء شخصية النبي (ص)، وسيتم الحديث عنها في ضوء العلوم النفسية والتربوية في النقاط الآتية:

1. إن الإرهاصات التي جرت للنبي (ص) لها وظيفة تربوية.

فلا يعقل أن تكون لها وظيفة متعلقة بالناس بأن يعلموا أن له شأن عظيم وأنه سيكون نبي آخر الزمان دون أن يكون لها أهمية في بناء شخصية النبي (ص) فتحدد له الغاية التي أرادها الله عزوجل له من خلال هذه الإشارات

التي تجري في حياته، إذ لو لم يجد هذه المؤشرات التي ترشده إلى هذه الأهداف سينعكس ذلك على شخصية النبي (ص) فيجد نفسه غير مقتنع بضرر ما منع منه ورشاد ما هدي له، لكن لأنه فهم من كل هذه الإرهاصات ما فهمه غيره من أنه سيكون له شأن وأن قوة ترعاه ليكون حامل فضيلة، فالتربية تربط الإنسان بهدف وهذا يجعل الإنسان دائما متفاعلا محققا لما خلق له لا يمل ولا يكل، وهذا ما كان في شخصية النبي (ص) فقد لامس هذه الإرهاصات منذ ولادته وما زال على خلق عظيم حتى أتاه التكليف بالنبوة.

2. في نظرية التربية في الإسلام فإن الهدف من بناء الشخصية الإنسانية تحقيق السعادة في الدارين دون انفصال بينهما.

لقد بين العلماء أهمية تحديد الأهداف في التربية بشكل عام (الكيلاني، 1417)، لكن بالنظر إلى المتلقي فلها أثر واضح في بناء الشخصية الإنسانية، فلن يقتنع الناشئ بالأوامر والنواهي ولن يتخيل أن الغاية النهائية هي بناء الإنسان الصالح فقط، إلا إن رُبط ذلك بالهدف الأسمى وهو رضى الله وجني ثماره المتمثل بالدخول في رحمة الله، وإلا فلا فرق بين التربية الإسلامية وغيرها من النظريات التربوية اذا كان هنالك فصل بين كسب الدنيا والثواب والعقاب، قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } (النساء: 6/134)، ومن هنا فإن التذكير بالغاية له دور مهم في تحقيق الرقي للشخصية الإنسانية بشكل دائم.

ويلحظ هنا أن تذكير الوحي للإنسان باليوم الآخر كان جزءا مهما من الهدي النبوي في علاج انحراف الشخصية الإنسانية وبيان أن غياب هذا الإيمان هو سبب لحظي في وقوع هذا الانحراف، قال رسول الله (ص) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ: "لَا يَزْنِي الزَّانِي حين يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حين يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ ولا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حين يَشْرَبُهَا وهو مُؤْمِنٌ" (البخاري، 1407).

سادسا: الخلوة والتفكر

لما دنا النبي (ص) من الأربعين من عمره الشريف حبب الله إليه الخلوة في غار حراء، "فكان يمكث عدة ليالي ليتزود بالطعام أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رسول اللَّهِ (ص) من الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ في النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إليه الْخَلَاءُ وكان يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه وهو التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قبل أَنْ يَنْزِعَ إلى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حتى جَاءَهُ الْحَقُّ" (البخاري، 1407).

إن أعظم ميدان للتفكر هو النظر في السماوات والأرض، وذلك يفيد في ترسيخ ثلاث قضايا تمثل المحاور الرئيسية في الإسلام وهي قضايا العقيدة الإسلامية، والشريعة، وتسخير ما في الكون لمنفعة الإنسان (معابده، 2010).

دور الخلوة والتفكر في بناء شخصية النبي (ص)

لقد كانت الخلوة البنائية للنبي (ص) في غار حراء وجها من وجوه رعاية الله لنبيه وإعداده للرسالة وشكل معلما هاما في بناء شخصيته، يقول سيد قطب: وكان اختيار (ص) لهذه العزلة طرفا من تدبير الله له ليعده لما ينتظره من الأمر العظيم فكان يخلو إلى نفسه، ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة ويفرغ لموحيات الكون، ودلائل الإبداع وتسبح روحه وتتعامل مع الحقيقة الكبرى وتمرن على التعامل معها في إدراك وفهم، ولا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى...لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة، وهكذا دبر الله لمحمد (ص) وهو يعده لحمل الأمانة الكبرى، وتغيير وجه الأرض، وتعديل خط التاريخ.. دبر له هذه العزلة ينطلق في هذه العزلة شهرا من الزمان، ويتدبر ما وراء الوجود من غيب مكنون، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عند ما يأذن الله (سيد قطب، د. ت :ج6، 3741).

إن الخلوة الاختيارية التي الهمها النبي (ص) كافية أن تمنح النبي (ص) التفكير ضمن ثلاث مستويات: الأول: التفكير السطحي، وهو الحكم على الشيء بالنظر فيه، فنقول الكون موجود وهو عظيم، والثاني: التفكير العميق، وهو الحكم على الشيء بالنظر فيه وفي ما حوله، فيقال: الكون العظيم موجود لا بد أن أحدا أوجده، أما

المستوى الثالث فهو: التفكير المستنير، هو الحكم على الشيء بالنظر فيه وفي ما حوله وما يتعلق به فيقال: من أوجد هذه الكون قدير ومبدع وهو لم يخلقه عبثا (الصفدي، 1415).

وفي منطقية علم النفس فإن التفكير مهم في بناء الشخصية الإنسانية القادرة على فهم الحياة والتأثير فيها "ينهض الإنسان بما عنده من فكر عنِ الحياة والكونِ والإنسان، وعن علاقَتها جميعها بما قبل الحياة الدنيا وما بعدها، فكان لا بد من تغييرِ فكرِ الإنسانِ الحاضرِ تغييراً أساسياً شاملاً، وإيجاد فكر آخر لَه حتى ينهض، لأَن الفكر هو الذي يوجد المفاهيم عنِ الأشياء، ويركز هذه المفاهيم والإنسان يكيف سلوكه في الحياة بِحسب مفاهيمه عنها" (الصفدي، 1415: 939).

ويتبين أهمية التفكير في بناء الشخصية الإنسانية من خلال الآيات القرآنية الكثيرة التي تحث على التفكر، منها قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (آل عمران: 190- 3/191)، فقد بينت الآية أن أثر التفكير ينعكس على سلوك المسلم فيصبح ذاكرا لله في جميع أحواله.

لقد كان لذلك التفكير اثر كبير في بناء شخصية النبي المفكر الذي يبحث في الحلول ويبدع ويبتكر للوصول إلى النجاح في الدعوة التي كلف بها، لقد وجد العلماء أن الشخص المفكر يتميز بالجرأة والصراحة ووجود الإطار المرجعي ويتميز بقدرات متنوعة مثل: التشخيص وتمييز القضايا الجوهرية، والتوقع، والفحص والتفحص، واستخلاص الاستنتاجات المقبولة، والتقويم المستديم (الصفدي: 1415)، وهذا ما سيتم الحديث عنه في المبحث التالي.

المبحث الثاني

الشخصية النبوية ودورها في نجاح الدعوة الإسلامية

بالنظر إلى أن وظيفة الأنبياء تبليغ الرسالة والدعوة لدين الله فإن نجاح مهمة الدعوة وتحقيق أهدافها مرتبط ارتباطا وثيقا بالقدرات الشخصية للنبي ليكون صاحب شخصية قوية يتمتع بالحيوية في محيطه وقادرا على التأثير وتحقيق النجاح، وهذا لا يتأتى إلا بأن يكون النبي مؤهلا ويتطلب ذلك إعداده المسبق لهذه الوظيفة من خلال التربية التي هي صناعة قائمة بذاتها.

إن وظيفة الأنبياء تمتاز بالشمولية تبعا لشمولية الرسالة فهي لا تقتصر على أداء عبادات ظاهرة وباطنة، أنها تعني أن يكون الإسلام حركة حياة تطال كل أركان الحياة وجوانبها المتعددة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، بل وتمتاز الدعوة الإسلامية الخاتمة للرسالات بالعالمية وهذا يعني أن التكليف الإلهي للنبي محمد (ص) لن يقتصر على الجزيرة العربية بل جعل من مهمته أن تكون الرسالة عالمية لتصل الرسالة الخاتمة إلى العالم السياسي خارج الجزيرة العربية، ولتكون للعالمين بعد ذلك إلى قيام الساعة.

يمكن دراسة أثر الرعاية الإلهية للنبي قبل البعثة في نجاح الدعوة الإسلامية في النقاط الآتية:

أولا: تحقيق مصداقية الدعوة

إن مصداقية الدعوة ارتبطت ارتباطا وثيقا بصدق النبي (ص) حتى خارج الاطار الزماني والمكاني الممتد إلى واقعنا اليوم، ويمكن القول هنا أن أعظم دليل على صدق رسالة الإسلام لا يمكن فصله عن مصداقية الرسول، وتفسير ذلك أن البشرية جربت عبر التاريخ من يتخذ الدين والقيم وسيلة لتحقيق منافع مالية أو اجتماعية أو سياسية، لكن سرعان ما تنكشف صحة الدعوى إما بسيرة هذا الشخص قبل الادعاء أو بصنيعه بعد التمكن، وهذا ما اختبر في شخصية النبي (ص) قبل البعثة وبعده فتأكد لديهم صدق النبي (ص) وصدق دعوته، لأن الأمم لا تسلم للرسل إلا بالمعجزات لكنها لو وجدت في شخصية الأنبياء مثلبا أخلاقيا أو عقليا لما طلبت المعجزات أصلا.

لقد كانت معالم شخصية النبي (ص) قبل البعثة حجة على قريش فيما بعد فلم يعرفوه إلا صادقا أمينا فقد نعت الله عز وجل حال النبي (ص) قبل البعثة بالنعمة ليؤكد أن ما حاز النبي (ص) من رعاية حجة على المنكرين

وذلك في قوله تعالى:{مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} (القلم: 68/2)، يقول ابن عاشور: "لأنهم إذا نظروا الدلائل وتوسموا الشمائل علموا أي الفريقين المفتون أَهُم مفتونون بالانصراف عن الحق والرشد، أم هو باختلال العقل كما اختلقوا" (ابن عاشور، 1420: ج 29، 61).

والأهم في مجال الكلام عن أخلاق النبي (ص) أن معرفة قريش لخُلقه كان محتكما إلى التجربة في إطار الاتصال التفاعلي مع المجتمع أي أنه في أوسع دائرة بحيث أن قريش تعرفه حق المعرفة خاصة وقد عمل في التجارة وغيرها من مشاركته في الحياة العامة، إن أخلاق النبي لم تكن موضع اختلاف عند قريش لا قبل البعثة ولا بعدها إذ عرف النبي (ص) قبل بعثته بالصادق الأمين، ولما سأل ملك الحبشة أبا سفيان عن خلق النبي (ص): " فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: لاَ" (البخاري، 1407).

ولو كان هنالك انفصام بين شخصية النبي ومضامين الوحي لكان ذلك مدعاة لتكذيب الرسالة بأدنى شك، قال تعالى: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (يونس: 10/16)، فقد جعل الله عز وجل حياة النبي (ص) قبل البعثة دليل على صدقه لأنهم عرفوا صدقه وأمانته.

إن صدق النبي كان سببا في وثوق أقرب الناس إليه وهي زوجته خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وكانت دلالة على صدق نبوته عند المقربين منه فخديجة تقول له:"كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا فوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الحديث وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الْحَقِّ" (البخاري، 1407)، لأنها عرفت أن من كان متصفا بهذه الصفات لا ينبغي أن يصاب بعارض عقلي أو طائف من الشيطان أو أن يكون كاذبا أو متصنعا، بل علقت الأمر بإرادة الله له الخير لأنها رأت أن كمال شخصيته أمر تعلقت به رعاية إلهية فهو لن يخزيه.

إن شخصية النبي (ص) أثبتت حضورا إيجابيا شاملا في الحياة الإنسانية عبر العصور، وهي حاضرة في دراسات المؤرخين وعلماء التربية والسياسة وغيرهم حتى وقتنا الراهن، وما زالت شاهدا حيا على صدق النبي (ص) وصدق رسالة الإسلام.

ثانيا: الشخصية النبوية كمؤثر

ينظر بعض علماء النفس إلى الشخصية كمثير وهو ما ذهب إليه فلمنج وغيره، بينما ينظر البعض إلى الشخصية كاستجابة للمثيرات، و الشخصية إما أن تؤثر وإما أن تتأثر ولا شك أن كلاهما جزء لا يتجزأ من تشكيل الشخصية وثمة عناصر كثيرة تؤثر فيهما، (النجار، 1416)، ومن هنا يمكن أن ننظر الى شخصية النبي كمثير ويمكن التحدث هنا عن الدعوة الاسلامية، فلم تكن الدعوة الإسلامية لتحقق اختراقا شاملا في الحياة الإنسانية ابتداء من مكة المكرمة حتى عمت الجزيرة العربية ومساحات سياسية شكلت جزءا كبيرا من العالم آنذاك دون تحقق شروط كثيرة في شخصية النبي (ص) والتي كانت ثمارا للرعاية الإلهية له صغيرا حتى تأهل لحمل الرسالة عند الأربعين من عمره.

وفي ضوء علم النفس فإن التربية الشمولية والإعداد الإلهي قبل البعثة والمحاسن التي حاز النبي (ص) زمامها وتمكنت فيه لها دلالة مهمة ومعنى خاص إذا نظرنا إلى الشخصية كمثير "أي مقدار ما يؤثر الفرد في الآخرين" (النجار، 1416: 28)، إن الشخصية المؤثرة هي الشخصية التي تجمع الفضائل فينبغي أن يهتم بها لأنها ستظهر لا محالة للناس ليكون مؤثرا في مجتمعه وتحقق نجاح الدعوة، لأن الشخصية المؤثرة تختصر الوقت والمسافات.

فحسن الخلقة التي تمتع بها النبي (ص) كان لها تأثير في النفوس، بل إن النبي (ص) جمع إلى ذلك حسن الملبس وطيب الرائحة فلا ينفر منه أحد، إلى جانب ذلك فالنبي (ص) تمتع بحسن الإلقاء وبلاغة الخطاب وطيب المعشر، ولا يقل هذا أهمية في بناء شخصية النبي (ص) المؤثرة، وهنا لا بد من الإشارة إلى الأبعاد النفسية للمتلقي فمن ذلك أن من الناس من يربط تصوره للحق بالمظاهر، فكمل الله عز وجل نبيه حتى يكون في شخصه حجة قائمة فينصرف السامع كامل الانصراف إلى حقيقة الكلام الذي بعثه به فلا يشتغل بما دونه فكان لجماله قوة في التأثير

وجاذبية للاستماع إليه، بل إن المحاسن التي جمعها الله للنبي (ص) من نسب وحسن خَلق وخُلق، تجعل منه شخصية مؤثرة في واقعنا المعاصر للصغير والكبير فتجذب الناس لقبول هذه الرسالة بالتأثير.

والنبي (ص) بعث في قوم يفتخرون بأنسابهم فاختار الله عز وجل له أشرف الأنساب ليجمع له الكمالات البشرية فيكون مؤثرا في غيره "دافعا لشبهة الترفع عن النقص أو البحث عن شهرة ولكان ذلك مدخلا للشك في مقصد دعوته بأنه يسعى لأن يكون له شأن، وهذا يتضح من سؤال هرقل لوفد قريش عندما لأبي سفيان في أول سؤال: "كيف نسبه فيكم؟ (البخاري، 1407)

لقد امتد تأثير شخصية النبي (ص) في الأمة من بعده قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب: 33/21)، فهذه الشخصية العظيمة جعلت الأمة المسلمة تحمل الإسلام لغيرها وانتشر الإسلام بين البشرية من خلال تعريف الناس بمزايا هذا الإنسان، وساهم في تقويم الشخصية الإسلامية والفكر الإسلامي عبر العصور اللاحقة بإصلاح الاعوجاج وإقالة العثرات ونفي التطرف والمغالاة من خلال تجديد الدراسات الدينية بالاعتماد على تحليل شخصية النبي (ص).

ثالثا: النبي عليه السلام المربي

لقد تمثل النبي (ص) وهو يسعى لتحمل الدعوة ويسعى لبناء شخصية الفرد والأمة الرعاية الإلهية له حتى اصبح مؤهلا لحمل الدعوة فهو يتذكر صورها ويقرأ سورها وآياتها، وتبين له أن التربية الشمولية هي السبيل الوحيد لتكون أداة التغيير الحضاري المنوط به، ونلحظ ذلك في الجوانب الآتية:

1. لقد أدرك النبي (ص) أهمية المربي في إنشاء جيل قادر على صناعة التغيير الحضاري.

فيبتدئ بالدعوة السرية حتى يستطيع أن يؤهل الشخصية الإسلامية القادرة على حمل الدعوة الإسلامية، حتى إذا ما أخذت ثمار الرعاية تأتي اوكلها في تأهيل ثلة من الصحابة تحول إلى الرعاية للجماعة المسلمة، لقد مرت هذه الرعاية النبوية بمراحل متقدمة لتنتقل بعد الهجرة النبوية إلى المدينة إلى تحقيق معنى الرعاية لشخصية الأمة لتحقق الخيرية التي أرادها الله ويعرف فضلها الخلائق.

وهو يأتمر في قوله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} (آل عمران: 3/79)، والربانيون هم القائمون على بناء الفرد والمجتمع ويؤثرون باتجاه بقاء الخير حاضرا في الإنسانية، قال الطبري: "الرباني: الذي يرب الناس وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ويقوم بها (الطبري، 2001: ج3: 327).

ومن هنا ندرك بوضوح من خلال دراسة السيرة النبوية ان التعليم كان جزءا لا يتجزأ من حياة النبي، وجزء لا يتجزأ أيضا من بناء المجتمع في مكة والمدينة (Safa, 2015: ss, 8, 162)، فالنبي يدرك تماما والقرآن يذكره أنه لم يكن أهلا للنبوة لولا الرعاية الإلهية له، وذكر الأمة بضرورة وجود المربي فقال رسول الله (ص): "ما من مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ على الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ كما تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هل تُحِسُّونَ فيها من جَدْعَاءَ (البخاري، 1407).

وفي النظرية التربوية في الإسلام فإن الأداة الأهم في بناء الشخصية الإسلامية هي المربي القدير المخلص، فهو يحمل مضامين الرسالة وتكاليفها ويأخذ على نفسه لواء الدعوة وإصلاح النفوس وبناء الشخصية المسلمة، "إن ارتباط الفرد المسلم بمثل هذا المربي سيجعل منه شخصية إسلامية واعية" (العلي، 1420).

2. توفير البيئة المناسبة لبناء الشخصية الإنسانية الصالحة.

أدرك النبي (ص) وقد آواه الله تعالى يتيما وحفظه من النقائص فتى وشابا أهمية توفير البيئة المناسبة للتربية، وتمثل في رعايته للصحابة التوجيهات الإلهية له لإعداد الجيل المؤهل للتغير الحضاري ويبدو التوجيه القرآني واضحا في ذلك من خلال قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (الكهف:

18/28)، وهذا يحتاج إلى توفير الصحبة الصالحة وقد سعى النبي (ص) في مكة المكرمة لتحقيق هذه التوجيه، فكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم ليكون المسلم موجودا ضمن إطار جماعي وبيئة سليمة.

لقد تعددت الدراسات في بيان أهمية وجود الفرد في داخل بيئة محددة ضمن مجموعة إنسانية أشبه ما تكون بنظم إدارية تربوية، فوجد علماء النفس أن هذه النظم مهمة في تلبية سلم الحاجات الإنسانية: (نموذج مازلو) (موسى، 1994: 201) وهي: تحقيق الحاجات الأساسية وهي :

أ- الحاجة إلى الأمان والاستقرار.

ب- الحاجات الجسدية الفسيولوجية.

ت- الحاجة إلى المحبة والانتماء.

ث- الحاجة إلى الاعتبار والتقدير.

ج- الحاجة إلى تحقيق الذات.

وهذا الدور ظل حاضرا في السيرة العملية للنبي (ص) من خلال بناء المسجد كخطوة أولى في بناء المجتمع والأمة، ثم المؤاخاة وغيرها من الحقوق والأحكام التي رتبها في اطار الحقوق المدنية وآداب الجيرة وصلة الرحم وحق المواطنة التي تدور كلها على أهمية الشعور بالانتماء في حواضن اجتماعية ومؤسسية متنوعة.

3. التركيز على الأهداف النهائية في بناء الشخصية الإنسانية

إن الإرهاصات التي شهدها النبي كان لها دور في بناء شخصية النبي (ص) وتعزيز الأهداف في حياته وتحقيق الدافعية لتحمل أعباء الدعوة لأجل تحقيق مرضاة الله، وتمثل النبي (ص) المربي هذه الأهداف في رعايته لأمته فهو يذكرها دائما بهذه الغاية.

وفي نظرية التربية في الإسلام فإن بيان الأهداف النهائية للتربية المتمثلة بتحقيق مرضاة الله أمر مهم في بناء الشخصية المسلمة من خلال تثبيت وتعزيز الصبر عند المتلقي، والبقاء على الدافعية الذاتية وتحقيق الذات، والبعد عن الملل والتذمر أو التمرد والانحراف، ولهذا لا بد أن يبين المربي الأهداف للمتلقي واعتبارها جزء لا يتجزأ من العملية التربوية التي تستهدف بناء الشخصية المسلمة وإلا كانت النتيجة الوصول إلى اللاغائية والتي تعني الوقوع في الغفلة وإتباع الهوى والتفلت وعدم الفاعلية، قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (الكهف: 18/28).

لقد كان التذكير الدائم بالآخرة عاملا هاما في نجاح الدعوة وتحمل الصحابة لأعباء الدعوة رغم ما لاقوه من شدائد { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} (آل عمران: 3/142)، وكان النبي يكثر من التذكير باليوم الآخر والثواب والعقاب والسعي لتحقيق مرضاة الله وهو يبني ويعدل السلوك الإنساني.

إن عدم التركيز على الأهداف النهائية في بناء الشخصية الإسلامية أدى إلى ظهور صور نمطية من التدين الذي يقوم على فصل الدين عن الحياة بصورة سلبية، لأن الآفة هي عدم التمييز بين الأهداف الوسائلية، والأهداف النهائية، إذ إن الصلاة وجميع العبادات إنما هي وسائل للوصول إلى الغاية النهائية للتربية الإسلامية للفرد والأمة وهي تحقيق الخلافة في الأرض عبادة وعمارة.

خامسا: النبي (ص) المتفاعل مع المجتمع والحياة

يعتبر التفاعل الاجتماعي إحدى المعايير التي تعرف بها الشخصية السوية ويظهر أثر ذلك في قدرته على التأثير في الآخر في الاطار المجتمعي (كفافي: 1984)، ويبدو ذلك واضحا في حياة النبي (ص) قبل البعثة فالنبي (ص) الذي قدر ذاته جعل منه شخصية متفاعلة، وفي علم النفس فان تقدير الذات "علامة على الصحة النفسية، المتسمة بالفعالية والرضى والإحساس بالتفاؤل واحترام المجتمع والقادرة على مواجهة الحياة وعدم القبول بالظلم والسعي إلى الإصلاح بدلا من النقد الهدام" (عيسى، 1994: 1096).

لقد كان في رسول (ص) قدوة لنا عندما أصيبت قريش بالقحط "فَدَعَا رسول اللَّهِ (ص) فَسُقُوا" (البخاري، 1407)، ليبين لنا شمولية العون الإنساني فليس مقصورا على الهداية بل حق الإنسان على الإنسان في كل خير، لأن صور العون موطئه للهداية، {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } (التوبة: 9/6)، ولذلك فإقامة المدنية كانت من وظائف الأنبياء ليتحقق به وجود مجتمع يسمع فيه لكلام الله، بدلالة قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحديد: 57/25).

سادسا: الإبداع في البناء الحضاري الشامل وصناعة الحلول وتجاوز العقبات

لقد خاض النبي (ص) غمار التغيير الحضاري الشامل وإحداث تحول جذري في الجزيرة العربية حتى تأسيس الدولة المدنية والتي لم تعرف مثلها البشرية آنذاك، وقد شهد العالم على أنها حضارة إنسانية راقية بامتياز جعلت العالم السياسي آنذاك يخضع لرغبة الشعوب في تلقي الإسلام كمنهج حياة، فكان لهذا التفاعل الحضاري الشامل تمهيدا لنشر الإسلام وتحرير الإنسانية من رقبة الاستبداد والفساد، ثم ليكون حاضرا في الصدارة.

إن التغيير الحضاري الهائل الذي أحدثه النبي (ص) لم يكن ليتحقق لولا الإبداع الذي استطاع أن يخترق به الكيانات القوية آنذاك ويتجاوز التخطيط المضاد الذي سعت فيه قريش إلى القضاء على الدعوة في مهدها ومن ثم بعد قيام كيانها السياسي في المدينة.

ويمكن الحديث هنا عن جوانب كثيرة من الإبداع النبوي في عدة جوانب منها:

1. الإبداع في صناعة الجيل الحضاري.

من خلال تهيئة الأسباب لبناء الجيل كاتخاذ دار الأرقم، ومن ثم بناء المسجد والمؤاخاة، واستخدام الطرائق التربوية في التربية والتعليم، وإدخال أدوات التعلم كالكتابة والتدوين.

2. الإبداع في استثمار الطاقات البشرية.

من خلال الشورى والتخطيط ومراعات الفروق الفردية وتوزيع الأدوار والاستعانة بالخبرات، ويظهر ذلك في مواقف كثيرة منها نجاح الهجرة النبوية إلى المدينة والتي كانت نواة الدولة المدنية آنذاك، لقد أشار القرآن الكريم إلى حسن تولي النبي (ص) لهذه الطاقات فقال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } (الأنفال: 8/62).

3. الإبداع في التصدي لأساليب قريش في محاربة الدعوة الإسلامية، وتجاوز العقبات التي وضعت من خلال تنويع أساليب الدعوة منها الدعوة السرية والفردية، واستخدام مهارات التأثير وفن الإقناع، وعرض الإسلام من خلال الاتصال بالقبائل العربية والالتقاء بالحجيج والأسواق.

4. إن الإبداع النبوي ساهم في نجاح الدعوة الإسلامية وتجاوز العقبات رغم ما لاقته الدعوة من صدود وتربص وتخطيط منهجي لإحباط الدعوة طيلة العهد المكي وجزء كبير من العهد المدني، أخذ شكل الحروب العسكرية طيلة الفترة المدنية تقريبا.

إن الرعاية الإلهية للنبي (ص) جعلت منه شخصا فذا في كل نواحي الحياة وبصورة شمولية تحتاج الأمة اليوم أن تبذل جهدا كبيرا في تجلية هذه الجوانب وأن تفيد من العلوم الإنسانية والحضارية على مستوى الأفراد والمؤسسات حتى توضح للامة معالم الشخصية النبوية التي رعاها الله عزوجل.

خاتمة

في ختام هذه الورقة البحثية يُمكنُ أن نخلُصَ بالنتائج الآتية:

1. تمثل مظاهر الرعاية الإلهية للنبي (ص) وإعداده للرسالة منهجا متكاملا متعدد الجوانب والمستويات ولهذه المظاهر دلالات عظيمة في ضوء العلوم النفسية والتربوية، وتمثل قدوة للفرد والأمة، ولذلك فان سيرة النبي (ص) قبل البعثة جزء لا يتجزأ من هذه القدوة.

2. لم تكن شخصية النبي (ص) قادرة على حمل الرسالة دون الرعاية الإلهية له قبل البعثة والتي أخذت صورة الاستصناع، ليتحقق مراد الله في النبي الأمي الخاتم للرسالات (ص)، ليصبح قادرا على إيصال الدعوة الإسلامية وتحمل أعباءها والجد والاجتهاد دون كلل أو ملل.

3. تضافرت مظاهر الرعاية الإلهي للنبي (ص) قبل البعثة واكتملت عند بلوغه سن الأربعين، ورسمت مظاهر الرعاية الإلهية للنبي (ص) معالم شخصيته فكانت شخصية سوية متفاعلة مؤثرة مقدرة لذاتها ذات تفكير مستنير، قادرة على الإبداع وحل المشكلات.

4. ظهرت نتائج الرعاية الإلهية للنبي (ص) في أحداث السيرة النبوية في جميع مراحلها، وكانت سببا في نجاح الدعوة الإسلامية فملك النبي (ص) الثقة بالنفس والصبر والقدرة على تجاوز الأزمات رغم ما لاقاه من المشركين من أساليب متعددة، واستطاع أن يبني الدولة المدنية وينتصر على الأعداء ودخل الناس في دين الله أفواجا، وليكون النبي أسوة حسنة للبشرية جميعا.

5. ادرك النبي (ص) أهمية الرعاية التي تلقاها فهو يقرأ سورها ويعيش صورها، فطبق النبي (ص) مبدأ الرعاية الشمولية في بناء الشخصية الإسلامية للفرد والأمة متأسيا برعاية الله عز وجل له، فحرص على رعاية الإنسان على مستوى الفرد والمجتمع والأمة.

توصية: لا بد من الإشارة لضرورة وجود بحوث معمقة لدراسة حياة النبي (ص) قبل البعثة بالاعتماد على العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية وغيرها ليصار إلى الاستفادة منها بشكل منهجي في صياغة التربية الإسلامية الحديثة للفرد والأمة في ضوء المنهج الرباني في رعايته لنبيه.

المراجع

الغزالي، محمد. (1998) فقه السيرة. دمشق: دار القلم.

إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار (د.ت)، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية. دار الدعوة.

ابن سيده، علي بن إسماعيل. (2000) المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1420) التحرير والتنوير. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414) لسان العرب. بيروت: دار صادر.

ابن هشام، عبد الملك. (1411) السيرة النبوية. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل.

العسكري، الحسن بن عبد الله. (1934) الفروق اللغوية. القاهرة: مكتبة القدسي.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1407) الجامع الصحيح المختصر. تحقيق: مصطفى ديب البغا. بيروت: دار ابن كثير.

الظالمي، حسن الشيخ خضر. (د.ت) قالوا في الإسلام. القاهرة: دار الكتاب العربي.

الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري. (1411) المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي. (1407) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

سيد قطب (د.ت) في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق.

الصفدي، احمد عصام. (1415) نحو تعليم عال بالفكر "المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية". الاردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الضيدان، محمد ضيدان. (1424) تقدير الذات وأثره وعلاقته بالسلوك، الحميدي. رسالة ماجستير، السعودية: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

الطبري، محمد بن جرير. (2000) جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة.

العلي، محمد تيسير. (1420) الشخصية الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة. رسالة دكتوراه، أم درمان: جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.

عيسى، محمد رفقي. (1994) الدافعية دراسة نقدية مع نموذج مقترح "بحث المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية" بحوث المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية 2، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت) كتاب العين. تحقيق: د مهدي المخزومي. د إبراهيم السامرائي. العين، دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب. (2005) القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (د.ت) الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الشعب.

كفافي، علاء الدين. (1984) الصحة النفسية. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

الكيا هراسى، على بن محمد. (1405) أحكام القرآن. تحقيق: موسى محمد على، عزت عبده عطية. بيروت:، دار الكتب العلمية.

الكيلاني، ماجد عرسان. (1417) أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية. الاردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الغزالي، محمد. (1998) فقه السيرة. دمشق: دار القلم.

مرتضى، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي. (د. ت) تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية.

مسلم، بن الحجاج القشيري. (د.ت) صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

معابده، يحيى زكريا علي. (2010) الأحاديث النبوية الواردة في الوقائع الفلكية دراسة موضوعية نقدية. رسالة دكتوراه. الاردن: جامعة اليرموك،

معابده، يحيى زكريا. (2011) الرعاية الالهية للنبي قبل البعثة ودورها في بناء الشخصية الاسلامية المعاصرة، الأردن: مؤتمر: السيرة النبوية ودورها في بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

المناوي، محمد بن تاج العارفين. (1415) فيض القدير شرح الجامع الصغير. بيروت: دار الكتب العلمية.

مونتجمري وات. (د.ت)، محمد في مكة. ترجمة: شعبان بركات. القاهرة: المكتبة المصرية.

موسى، نبيل عزت. (1994) نظرية السلوك التنظيمي من منظور إسلامي، من بحوث المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، الاردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

النجار، مسعد احمد. (1416) نحو نظرية إسلامية في الشخصية. رسالة ماجستير. الاردن: جامعة اليرموك.

الرازي، محمد بن عمر. (1420) مفاتيح الغيب "التفسير الكبير". بيروت: دار إحياء التراث العربي.

Safa, Mustafa. (2015). Hz. Peygamber Döneminde Medine'nin Sosyal Yapısı. Ankara: Araştırma Yayınları.